سعيد بن عمرو الحرشي

فاتح شطر أرمينية ثانية وشطر خراسان

الأستاذ محمود شيت خطاب

أولا : نسبه وأيامه الأولى

هو سعيد بن عمرو بن أسود بن مالك بن كَعْب بن الحَرِيْش ابن كَعْب بن ربيعة بن عامِر بن صَعْصَعَة ، واسم الحَرِيش معاوية ابن كَعْب[1] من قَيْس عَيلان بن مُضَر[2] .

ولم يكن سعيد من رؤساء قبيلته ، بل كان عِصامياً ، تقدّم بكدّه وعرقه وكفايته ، وكان في صغره فقيراً مُعْدِماً يسأل على الأبواب ، ثم صار يسقي الماء ، ثم احترف الجندية ، فَعَلَتْ حالُه [3] ، وتقدّم في المناصب الادارية والعسكرية . ويبدو أنه لفت أنظار المسؤولين في الدولة بشجاعته وكفايته ، ففرض بجهده ومزاياه نفسه على الحاكمين ، ولم يفرضها بحسبه ونسبه .

ولا نعرف متى وأين وُلد ، ولا تفاصيل حياته الأولى ، ولا سنة رحيله عن الدنيا ، وقد ذُكر أنه شامِيٌ ، وولده بأرمينية[4] ، وأمه حبشيّة[5] .

---

(١) جمهرة انساب العرب (٢٨٨) .
(٢) جمهرة انساب العرب (٢٧١) .
(٣) جمهرة انساب العرب (٢٨٨) وتهذيب ابن عساكر(٦/١٦٤).
(٤) جمهرة انساب العرب (٢٨٨) وتهذيب ابن عساكر (٦/١٦٤)
(٥) المحبر (٣٠٨) .

لقد كان حظّ سعيد عند المؤرخين وكتاب السير في مجال حيـاته الخاصة حظّاً عاثرا ، فبخلوا عليه بذكر حياته الشخصية ، وعوّضـوا عليه بذكر حياته العامة قائداً وإداريا .

ثانيـا : في توطيد الأمن الداخلي :

١ ــ في حرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[١] :

شهد سعيد ثورة ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان ، وكـان يقاتل تحت راية الحجّاج بن يوسف الثقفيّ . وفي يوم من الأيام خرج رجل من أهل العراق يقـال لـه : قُدامَة بن الحَرِيش من رجال ابن الأشعث ليبارز رجلاً من رجال الحجّاج . وخرج إليه رجل من أهل الشّام فقتله ، حتى قتل أربعة من أهل الشّام . ولما رأى الحجاج ذلك، أمر منادياً فنادى : لا يخرج الى هذا الرجل أحد ! فكف الناس .

وكلّم سعيدٌ الحجّاج فقال : « إنك رأيت ألاّ يخرج الى هذا الرجل أحدٌ ، وانما هلكَ مَنْ هلكَ من هؤلاء النّفر بآجالهم ،ولهذا الرّجل أجـلٌ ، وأرجو أن يكون قد حضر ، فأْذَن لأصحابي الذين قدِموا معي فليخرج إليه رجل منهم » .

وأذِنَ الحجّاج ان يخرج احد اصحاب سعيد لمبارزةهذا الرجل، ولكنّ الرّجل عاجل الشّامي الذي خرج لمبارزته من أصحاب سعيد فقتلـه .

وشقّ ذلك على سعيد ، فاستأذن الحجّاج في الخروج لمبـارزة

---

(١) انظر تفاصيل ثورة عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث في الطبري (٦/ ٣٣٤ ــ ٣٤١) و (٦ / ٣٤٢ ــ ٣٤٥) و (٦ / ٣٤٦ ــ ٣٥٠) ، وابـن الأشعث الكندي ، انظر ما جاء عنه في جمهرة انساب العرب (٤٢٥) .

قُدامة ، فقال له : « وعندك ذلك ؟ » ، فقال سعيد : « نعم ، أنا كما تحبّ » ، فأمر له الحجّاج بسيف مُرْهَف ثقيل ، وأذِنَ له بالمبارزة .

ومهما تكن نتيجة المبارزة ، اذ لم ينتصر سعيد على خصمه ويقضي عليه ، إلاّ أنّ مجرّد خروجه الى المبارزة متطوّعاً ، يدل على شجاعته وثقته بنفسه وحرصه على انتصار الدولة على ابن الأشعث وأصحابه[1] .

٣ ــ القضاء على فتنة شَوْذَب الخارجي :

في سنة مئة الهجرية (٧١٨ م) ، خرج شَوْذَب الخارجيّ ، وهو بِسْطَام من بني (يَشْكُر)[2] في (جُوْخَى)[3] ، وكان في ثمانين رجلا .

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب عامله بالكوفة ، ألاّ يُحَرِّكهم حتى يسفكوا دماءً ويفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا فوجِّه إليهم رجلاً صليباً حازماً في جُنْد .

وبعث عبد الحميد والي الكوفة محمد بن جرير بن عبد الله البَجَلِيّ[4] في ألفين ، وأمره بما كتب عمر بن عبد العزيز إليه .

---

(١) انظر التفاصيل في الطبري (٦ / ٣٦١ ــ ٣٦٣) .

(٢) هو يشكر بن بكر بن وائل ، انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٣٠٨) .

(٣) جوخى ، وردت في معجم البلدان (٣ / ١٦١) : جوخا ، اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد ، ولم تكن ببغداد كورة مثل جوخا .

(٤) انظر سيرة ابيه : جرير بن عبد الله البجلي في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٦ ــ ٣٧١) .

كما كتب عمر بن عبد العزيز الى بِسْطَام الخارجيّ ، يسأله عن مخرجه ، وكان في كتاب عمر الى بِسْطام : « بلغني أنك خرجتَ غَضباً لله ولرسوله ، ولستَ أولى بذلك مني ، فهلمّ إليّ أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا ، دخلتَ فيما دخل الناس ، وان كان في يدك نظرنا في أمرك » ، فقدم كتاب عمر الى بِسطام وقد قدم إليه محمد بن جرير ، فقام بإزائه لا يتحرّك .

وكتب بسطام الى عمر : « قد أنصفتَ ، وقد بعثتُ إليك رجلين يدارسانك » .

ووصل الرجلان الموفدان من بسطام الخارجيّ ، وناظرا عمر بن عبد العزيز ، فاقتنعا بوجهة نظره .

ومات عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سنة إحدى ومئة الهجرية (٧١٩ م) ، ومحمد بن جرير مقابل الخوارج ، لا يتعرّضون إليه ولا يتعرّض اليهم ، وكلّ منهم ينتظر عودة الرّسل من عند عمر بن عبد العزيز ، فتوفي عمر والأمر على ذلك[1] .

وتولّى يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة بعهده من أخيه سليمان بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز[2] ، فأحبّ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب أمير الكوفة ، أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك ، فكتب الى محمد بن جرير يأمره بمناجزة شَوْذَب .

ولما رأى الخوارج محمد بن جرير يستعدّ للحرب قالوا : « مافعل

---

(١) انظر التفاصيل في : الطبري (٦ / ٥٥٥) وابن الاثير (٥ / ٤٥ ــ ٤٨) .

(٢) ابن الأثير (٥ / ٦٧) .

هؤلاء هذا إلاّ وقد مات الرّجل الصالح » ، يريدون عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه .

ونشب الاقتتال بين الجانبين ، فأصيب من الخوارج نفر ، وقتل الكثير من أهل الكوفة وانهزموا ، وجرح محمد بن جريـر فدخـل الكوفة ، وتبعهم الخوارج الى الكوفة ، ثم رجعوا الى مكانهم .

ووجّه يزيدُ بن عبـد الملك تَميْم بن الحُبَاب في ألفين الـى شَوْذب الخارجيّ ، فاقتتل الجانبان وقتل شوذب كثيراً من أصحاب تميم ، فلجأ فلول جيش تميم هاربين الى يزيد بن عبد الملك والى الكوفة أيضـا .

وأرسل يزيد بن عبد الملك جيشـا بقيـادة نَجْدَة بن الحَكَم الأَزْدِيّ الى شوذب ، فقتله الخوارج وهزموا رجاله ، فوجّه يزيد السَجّاح بن ودَاع في ألفين ، فقتلوه وهزموا رجاله أيضاً .

وأقام الخوارج بمكانهم حتى دخل مسْلَمةُ بن عبد الملك الكوفة، فشكا إليه أهل الكوفة مكان شَوْذَب وتأثيره في اضطراب الأمن وأثره في قـوات الدولـة ، فأرسـل اليـه مَسْلَمَةُ سعيدَ بن عمـرو الحَرَشِيّ ، وكان[1] فارسـاً من فرسان العرب[2] في عشرة آلاف .

وأتاه سعيدٌ في مكانه ، فرأى شوذبُ وأصحابُه مالا قِبَل لهـم به ، فقال لأصحابه : « مَنْ كان يريد الشّهادة ، فقد جاءتـه ، وَمن

---

(١) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد الروم .

(٢) هذه العبارة ينبغي ان تكـون منقولة من احد كتب التاريخ الوارد ذكرها في الحاشية ويقتضي حذفها لأنها تفترض ان التعريف بسعيد الحرشي لم يأت بعد .

كان يريد الدنيا ، فقد ذهبت » .

وكسر الخـوارج أغمـاد سيوفهم وحملوا ، فكشـفوا سعيداً وأصحابه مراراً ، حتى خاف سعيد الفضيحة ، فوبّخ أصحابه وقال : « من هـذه الشرذمة لا أبَ لكم تَفِرّون يا أهـل الشّام ! يومـاً كأيامكم » .

وحمل سعيد وحمل أصحابه معه على الخوارج حملـة صادقة ، فطحنوهم طحناً ، وقتلوا بِسطاماً ــ وهو شَوْذَب ــ وأصحابه[1] .

وهكذا قضى سعيد بحسن قيادته وثباته وتحريضه أصحابه علـى الاقتتال والثبات ، على فتنة شوذب التي أثرت في معنويات سـكّان جنوبي العراق ، وأشاعت الفوضى والاضطراب فيه ، وكبّدت الدولة خسائر فادحة بالأموال والرجال .

٣ ــ القضاء على فتنة يزيد بن المُهَلَّب :

حبسَ عمر بن عبد العزيز في سجن (حَلَب) يزيـد بن المهلّب سنة مئـة الهجريّة (٧١٨ م) ، فبقـي يزيـد في محبسه حتى بلغـه مرض عمر[2] .

ولما اشتدّ مرض عمر بن عبد العزيز ، خاف يزيد بن المُهَلَّب من

---

(١) انظر التفاصيل في : الطبري (٦ / ٥٧٥ ــ ٥٧٨) وابن الاثير (٥ / ٦٨ ــ ٧٠) وانظـر : العيـون والحدائـق في اخبـار الحقـائق (٦٥) .

(٢) الطبري (٦ / ٥٥٦ ــ ٥٥٨) وابن الاثير (٥ / ٤٨ ــ ٥٠) ، وانظر كتاب : الوزراء والكتاب (٣١) .

يزيد بن عبد الملك[١] ، فهرب من محبسه سنة إحدى ومئة الهجريّة[٢] (٧١٩ م) .

ووصل يزيد بن المهلّب الى العراق ، وسيطر على (البَصْرَة) ، فأصبح الموقف في العراق خطيراً للغاية بالنسبة للدولة .

وأرسل يزيد بن عبد الملك الى (الكوفة) شيئاً من المال ، ومَنّى أهلَها الزيادة ، وجهّز أخاه مَسْلَمَة بن عبد الملك وابن أخيه العبّاس ابن الوليد بن عبد الملك[٣] في سبعين ألفاً من أهل الشّام وجزيرة ابن عمر ، وقيل : كانوا ثمانين ألفاً ، فسارا الى العراق ، وقدّما (الكوفة) ونزلا (النُّخَيْلَة) [٤] .

وسار يزيد بن المهلّب من (البَصْرَة) ، واستعمل عليها أخاه مروان بن المهلّب ، وأتى (واسِطاً)[٥] واقام بها أياماً حتى خرجت

---

(١) كانت بين يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب عداوة شخصية قبل ان يتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ، وقد توعد كل منهما صاحبه، انظر ابن الاثير (٥ / ٥٧) .

(٢) انظر التفاصيل في : الطبري (٦ / ٥٦٤ ــ ٥٦٥) وابن الاثير (٥ / ٥٧ ــ ٥٨) وابن خلدون (٣ / ١٦٦) .

(٣) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد الروم .

(٤) النخيلة : موضع بالقرب من الكوفة على سمت الشام ،انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٢٧٦ ــ ٢٧٧) .

(٥) واسط : مدينة كبيرة بناها الحجاج بن يوسف الثقفي ، وسميت : واسطا ، لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة ، انظرالتفاصيل في : معجم البلدان (٨ / ٣٧٨ ــ ٣٨٧) ، وقد اطلق اسم واسط على محافظة من محافظات العراق الحديث ، وهي محافظة الكوت على نهر دجلة في العراق الاوسط ، احياء لذكرى مدينة واسط القديمة .

سنة إحدى ومئة الهجرية[١] .

ودخلت سنة اثنتين ومئة الهجرّية (٧٢٠ م) ، فسار يزيد بن المهلّب من (واسط) واستخلف عليها ابنه معاوية ، وجعل معه بيت المال والأسرى .

وسار يزيدُ بن المهلّب بجيشه على فم (النِّيل)[٢] حتى نزل (العَقْر)[٣] ، فعسكر هناك .

وأقبل مَسْلَمَة بن عبد الملك بجيشه سالكاً طريق نهر (الفُرات) الى مدينة (الأَنْبار)[٤] ، فعقد عليها جسراً وعبر .

وفي طريق مسلمة الى (العَقْر) ، في مرحلة مسير الاقتراب ، عقد يزيد بن المهلّب لعبد الله بن حَيَّان العَبْدِيّ على أربعة آلاف ، فعبروا نهر (الصَّرَاة)[٥] لعرقلة مسيرة مَسْلَمَة ، ولكنّ مسلمة

---

(١) انظر التفاصيل في : الطبري (٦ / ٥٧٨ ــ ٥٨٩) وابن الاثير (٥ / ٧١ ــ ٧٧) وابن خلدون (٣ / ١٦٦ ــ ١٦٩)، وانظر خلاصة الذهب المسبوك (٢٦) .

(٢) النيل : بليدة في سواد الكوفة قرب مدينة (الحلة) : حلة بني مزيد ، يخرقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٣٦٠) .

(٣) العقر : عقر بابل ، قرب كربلاء من الكوفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ١٦٤ ــ ١٦٥) .

(٤) الأنبار : مدينة على الفرات في غرب بغداد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ٣٤٠ ــ ٣٤٢) ، وهي مدينة الفلوجة كما تسمى اليوم ، وأطلق اسمها على محافظة من محافظات العراق الحديث ، وهي محافظة الرمادي التي أصبح اسمها اليوم : محافظة الأنبار .

(٥) الصراة : المقصود هنا : صراة جاماسب ، تستمد ماءها من الفرات ، بنى عليها الحجاج بن يوسف الثقفي مدينة النيل التي بأرض بابل ، انظر معجم البلدان (٥ / ٣٤٩) .

وجّه إليهم خيلاً من أهل الشّام عليهم سعيد بن عمرو الحَرَشِيّ . وكان لأهل الشّام كمين في منطقة نهر (الصّراة) ، فاقتتلوا وقُتل عبد الله بن حيان ثم خرج كمين أهل الشام على رجال عبد الله بن حَيّان ، فانهزموا حتى أتوا يزيد بن المهلّب[١] .

وعبر مَسْلَمَة (الصّراة) بجيشه ، بعد أن طهّر له الطـريق سعيد ، فعبر النهر وهو آمن مطمئن ، لا يخشى مقاومة قوّات يزيد ولا محاولة عرقلة مسيرته ، حتى اتخذ مواضعه تجاه جيش يزيد ، وخندق حول مواضعه خندقين[٢] .

وكان اجتماع يزيد بن المهلّب ومَسْلَمَة بن عبد الملك ثمانيـة أيام ، فلما كان يوم الجمعة لأربع عشرة مضت من صَفَر ، بعث مسلمةَ من يحرق الجسر .

وخرج مسلمة مُعَبّئاً أهل الشّام ، ثم قرب من ابن المهلب ، فلما أُحرق الجسر وسطع دخانه ، وقد أقبل النـاس ونشب الاقتتال بيـن الجانبين ، ورأى أصحـاب ابن المهلّب الدّخان ، وقيـل لهم : أُحرق الجسر ، انهزموا !

وخرج يزيد بن المهلّب مع أصحابه المقرّبين في محاولة لرد المنهزمين من جيشه ، ولكنه أخفق في محاولته .

واشتد الاقتتال بين الجانبين ، فلما كان اليوم الذي قتل فيه يزيد ابن المهلّب وهو يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين

---

(١) العيون والحدائق (٧١) .

(٢) العيون والحدائق (٧١) .

ومئة الهجريّة ، خرج محمد بن المهلب على فرسه يقاتل ، فضُرب على جبهته بعمود ، فقال له يزيد : « مَن ضَرَبك ؟ » ، قال : « لا أدري ! إلاّ أنه حين ضَرَبني قال : أنا الغلام الحَرَشيّ »[١] .

وكان يزيد يقاتل ، فجاءه مَن ينعى إليه أخاه حبيباً الذي قُتل في المعركة ، فقال يزيد : « لا خير في العيش بعده ! قد كنتُ والله أبغض الحياة بعد الهزيمة ، وقد ازددت لها بغضاً ! امضوا قُدُماً » ، فعلموا أنه قد استقتل .

وباشر يزيد القتال حتى قُتل وقُتل معه محمد بن المهلّب[٢] .

لقد أحبط سعيد محاولة يزيد بن المهلّب عرقلـة مسير الاقتراب لجيش مسلمة ، فيسّر لمسلمة تنفيذ خطته المرسومة في القضاء على فتنة يزيد بن المهلّب ، كما برز سعيد في هذه المعركة قائداً منتصراً ،ومقاتلاً رهيباً ، وبطلاً فارسا .

ثالثـا : جهـــاده :

١ ــ في ميدان الصُغْد[٣] :

---

(١) العيون والحدائق (٧٢) .

(٢) انظر التفاصيل في : الطبري (٦ / ٥٩٠ ــ ٦٠٤) وابن الأثير (٥ / ٧٧ ــ ٨٩) وابن خلدون (٣ / ١٦٦ ــ ١٧٢) ، وانظر المسعودي (٣ / ١٩٩ ــ ٢٠٠) وتاريخ الموصل (١٠ ــ ١٦) والمعارف (٤٠٠) .

(٣) الصغد : منطقة واسعة جدا بين بخارى وسمرقند ، قصبتها سمرقند ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥ / ٨٦) و (٥ / ٣٦٢ ــ ٣٦٤) ، وهو اقليم بآسيا الوسطى يمثل اليوم التركستان الغربية ، انظر القاموس الاسلامي (٣ / ٣٦٨) . والصغـد امـة من التركمان باسـم المنطقة التي يطلق عليها : الصغد أيضا ، وقد تنطق بالسين .

في سنة ثلاث ومئة الهجريّة (٧٢١ م) عزل عمـــرٌ بن هُبَيْرَة سعيدَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم الأموي عن (خُراسان) واستعمل سعيد بن عمرو الحَرَشِي[١] عليها .

ولما قدم سعيد الحَرَشِيّ (خُراسان) ، وجد أعداء المسلمين قد تكالبوا عليهم وأثروا فيهم مادياً ومعنويـــاً ، فجمع سعيد مَن حضر من المسلمين ، وخطبهم وحثّهم على الجهاد وقال : « إنكم لا تقاتلون بكثرة ولا بِعُدّة ، ولكن بنصر الله وعِزّ الأسلام ، فقولوا : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .. وأنشد :

فلستُ لعامرٍ إنْ لم تَرَوْنِي
أمـــامَ الخَيْل أطْعَـــنُ بالعوالي[٢]

فأضرِبُ هامَةَ الجبّـــارِ منهم
بِعَضْبِ الحَدّ حودِثَ بالصِّقالِ[٣]

فما أنـــا في الحروبِ بمُسْتَكِيْنٍ
ولا أخشـــى مصاولة الرِّجـــال

أبَى لـــي والدِي من كلّ ذَمٍ
وخالي في الحـــوادث خيرُ خـــال

إذا خطَرَتْ أمامي حيّ كَعْبٍ
وزافَتْ كالجبالِ بنو هِلالِ »[٤]

---

(١) الطبري (٦ / ٦٢٠) وابن الاثير (٥ / ١٠٣) .
(٢) ابن الاثير (٥ / ١٠٤) : نطعن .
(٣) حودث : جلي .
(٤) الطبري (٦ / ٦٢٠ ــ ٦٢١) وابن الاثير (٥ / ١٠٣ ــ ١٠٤) .

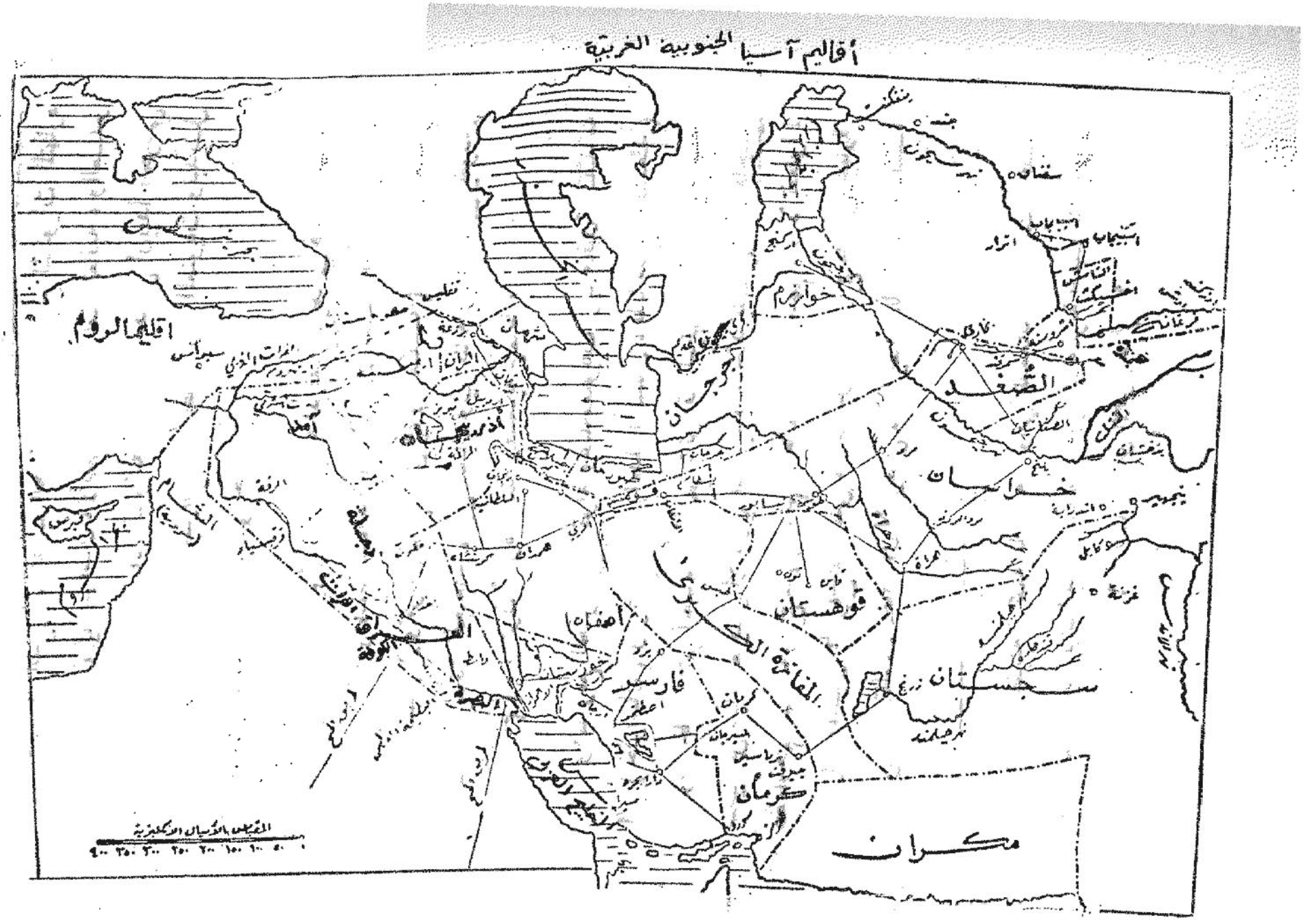
أقاليم آسيا الجنوبية الغربية
أقليم الروم
خوارزم
الصغد
خراسان
جرجان
فوهستان
سجستان
مكران
كرمان
فارس
أصفهان
الفلاة الكبرى
المقياس بالأميال الانكليزية

ومن الواضح أن خطاب الحرشيّ كان لرفـع المعنويات المنهارة لقوّات المسلمين في خُراسان ، لأنهم نُكبوا نكبات متعاقبة ، والعـدو يحيط بهم ويهدّدهم بقواته المتفوّقة ، فكان لا بد من أن يبدأ الحرشي عمله الإداري والقيادي في خُراسان ، بمحاولة رفع المعنويات وتبديـل أوضاعها المتردية من حال الى حال .

ولعلّ الكلام المجرّد في مثل ذلك الموقف لا يجدي فتيلا ، لهـذا بدأ بنفسه ، فقرّر أمام السامعين أنه سيكون امـام المجاهدين ، ولا يكتفي بإصدار الأوامر إليهم ثم يبقى في (الخَلْف) بدون ان يعـاني شخصياً ما يعانيه المجاهدون قبل القتال وفي أثنائه وبعده ، بل يقودهم من (الأمام) ، ليكون أسوة حسنة لأصحابه جميعا .

وكما رفع الحَرَشي بقوله وعمله معنويات رجاله، فإنّ مَقْدَمه الى (خُراسان) زعزع معنويات أعداء المسلمين ، فلما سمع (الصُّغْدُ) بقدومه خافوا على أنفسهم ، لأنهم كانوا قد اعانـوا الترك أيام سلفه سعيد بن عبد العزيـز الأُموي الملقّب بـ (خُذَينـة)[1] ، فاجتمع عظماؤهم على الخروج من بلادهم ، فقال لهـم ملكُهم : « لا تفعلوا ! أقيموا ، واحملوا الخراج ما مضى ، واضمنوا له خَراج ما يأتي وعمارةَ الأرض » ، فقالوا : نخاف أن لا يرضى ، ولا يقبل ذلك منّا ، ولكنّـا

---

(١) خذينة : كلمة فارسية ، وهي الدهقانة ربة البيت ، فقـد كان سعيد خذينة ليتـا سهلا متنعما ، فهو أشبه بربة البيت منه بالوالي القائد ، انظر الطبري (٦ / ٦٠٥) وابن الاثير (٥ / ٩٠) .

تأتي (خُجَنْدَة)[١] ، فنستجير ملكها ، ونرسل الى الامير ، فنسأله الصَّفح عمّا كان منّا ، ونوثق له أنه لا يرى منا أمراً يكرهه . فقال لهم الملك : « أنا رجلٌ منكم ، والذي أشرتُ به عليكم خير لكم » [٢] .

ويبدو أنّ ملك الصُّغْد كان ضعيفاً ، ولا رأى لمن لا يطاع ، كما أنّ أثر الحَرَشي المعنوي فيهم كان بليغاً ، فاضطرب أمرهم وولّوا الأدبار .

وخرج الصُّغْدُ الى (خُجَنْدَة) ، وأرسلوا الى ملك (فَرْغانة)[٣] يسألونه أن يبسط حمايته عليهم وينزلهم مدينته ،فأراد أن يحقّق لهم رغباتهم ، ولكنّ أمّهُ نصحته ألاّ يقبلهم في مدينته ، بل يخصّص لهم مكاناً في منطقة اخرى .

وأرسل الملك إليهم أن يختاروا منطقة أخرى في بلاده يعيشون فيها قائلاً : « سمّوا رستاقاً تكونون فيه أفرّغه لكم ، وأجّلوني أربعين يوماً » ، وقيل : « أجّلوني عشرين يوماً » ، فاختاروا شِعْب عصام

---

(١) خجندة : مدينة مشهورة بما وراء النهر (جيحون) على شاطىء نهر (سيحون) ، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقا . وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصقع أنزه منها ولا أحسن فواكه ، وفي وسطها نهر جار ، والجبل متصل بها ، وهي متاخمة لفرغانة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٤٠٢ ــ ٤٠٣) .

(٢) الطبري (٦ / ٦٢١) وابن الاثير (٥ / ١٠٤) .

(٣) فرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان ، ومن ولايتها خجندة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ٣٦٤ ــ ٣٦٥) .

ابن عبد الله الباهلي ، وكان قتيبة بن مسلم الباهلي[١] قد خصّص هذا الشّعب لقريبه هذا وجماعته .

ووافق الملك على اختيار هذا الموضع من الشّعْب ، ولكنه اشترط عليهم : « ليس لكم علىّ عقد وجوار حتى تدخلوه ، وإن أتتكم العربُ قبل أن تدخلوه ، لم أمنعكم » ، فرضوا بهذا الشّرط ، ففرّغ لهم الشّعْب[٢] .

وسار الحرشي سنة أربع ومئة الهجريّة (٧٢٢ م) ، وقطع النّهر (جيحون) ، ونزل في (قصر الرّيح)[٣] على فرسخين من (الدّبوسيّة)[٤] ، ثم أمر بالرّحيل قبل أن يجتمع إليه جنده ، فأشار عليه أحد رجاله بالتريّث ليجتمع اليه جنده أولاً ، ثم يرحل الى هدفه بعد ذلك[٥] .

ومن الواضح أنه كان يريد الإسراع في تنقّله ، ليصل الى هدفه بسرعة مناسبة ، لأنه كان لعامل الوقت آثر في ضرب العدو قبل أن يرحل من (خجندة) ، لذلك أمر بالرحيل قبل إكمال حشد جيشه ، ولكنه آثر التريّث بالرحيل عملاً بنصيحة أحد رجاله ، لأنّ تريّثه أسلم

---

(١) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المشرق الاسلامي .

(٢) الطبري (٦ / ٦٢٢١ ـ ٦٢٢٢) وابن الاثير (٥ / ١٠٤ ـ ١٠٥) .

(٣) قصر الريح : قرية بنواحي نيسابور ، انظر معجم البلدان (٧ / ١٠١) .

(٤) الدبوسية : بليد من اعمال الصغد من وراء النهر ، انظر معجم البلدان (٤ / ٣٣) .

(٥) الطبري (٧ / ٧) وابن الاثير (٥ / ١٠٧) .

عاقبة من تسرّعه .

وأتاه ابن عمّ ملك (فَرْغَانَـة) ، وأخبره أنّ الصُّغْد في (خُجَنْدَة) ، وأشار عليه بأن يعاجلهم قبل أن يصلوا الى الشعب ، فليس لهم جوار علـى ملك (فرغانة) قبل أن يمضـي الأجل وهـو أربعون يوما .

ووجّه الحَرَشِـيّ مع ابن عـم ملك فَرْغانـة عبد الرحمن القُشَيْرِيّ وزياد بن عبد الرحمن في جماعة من جيشه ، ولكنه ندم بعدما فصلوا وقال : « جاءني عِلْج لا أعلم أصدق أم كذب ، فغرّرت بجند من المسلمين ! » ، فارتحـل في أثرهم علـى عَجَل ، حتى نزل (أُشْروسَنَة)[1] ، فصالحهم بشيء يسير .

واستمرّ مسرعاً في مسيره باتجاه (خُجَنْدَة) لا يلـوي على شيء حتى لحق القُشَيْرِيّ بعد ثلاثة أيام ، وحينذاك فقط اطمأنّتْ نفسه على مصير رجاله .

ولما انتهى الى (خُجَنْدَة) ، قال له بعض أصحابه : مـا ترى ؟ قال : « أرى المعاجلة » ، قال : لا أرى ذلك ! إنْ جُرح رجل فإلى أين يرجع ؟ او قُتل قتيل فإلى مَنْ يُحْمَل ؟ ولكنني أرى النزول والتأني والاستعداد للحرب .

ونزل الحَرَشِيّ ، وأخذ في التأهّب والاستعداد ، فلـم يخرج

---

(١) اشروسنة : بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند ، وبينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخا ، انظر التفاصيل في : معجم البلدان (١ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧) .

أحد من العدو ، ولجؤوا الى داخل المدينة .

وحمل رجل من المســلمين ، فضرب باب (خُجَنْدَة) بعمود ، ففتح الباب ، وكان الصُّغد قد حفروا في ربضهم وراء الباب الخــارج خندقاً وغطّوه بقصب وتراب مكيدةً ، وأرادوا اذا التقــوا بالمسلمين وانهزموا كانوا قد عرفــوا الطريق ، ويصعب على المســلمين معرفتها فيسقطون في الخندق . فلما خرج الصُّغد وقاتلوا المسلمين ، انهزموا ، فأخطأهم الطريق وسقطوا في الخندق ، فأخرج المسلمون منهم أربعين رجــلاً .

وحصرهم الحَرَشِيّ ، ونصب عليهم المجانيق ، فأرسلوا الى ملك (فرغانة) : إنّك غدرت بنا ! وسألوه أن ينصرهم ، فقال : « قد أتوكم قبل انقضاء ، الأجل ، ولستم في جواري » .

وطلب الصُّغد الصلحَ وسألوا الأمان ، وأن يردّوهم الى بلادهم الأصليّة ، فاشترط عليهم الحَرَشِيّ : أن يردّوا ما بأيديهم من نساء العرب وذراريهم ، وأن يؤدوا ما كسروا من الخرَاج ، ولا يغتالوا أحداً ، ولا يتخلّف منهم بـ (خُجَنْدَة) أحدٌ ، فأن أحدثوا حدثــاً حلّت دماؤهــم .

وخرج الى المسلمين رجالات الصُّغْد وتجّارهم ، وتُرك أهــل (خُجَنْدَة) على حالهم ، ونزل عظماء الصُّغد على الجند المســلمين الذين سبقت لهم معرفة بهم .

وبلغ الحَرَشِيّ أنّ الصُّغد قتلوا امــرأة مسلمة ممن كان في أيديهم ، فقال : « بلغني أنّ أحدكم قتل امرأة ودفنهــا » فجحد الذي اشتُبه به ، فتعمّق في التحقيق ، فاذا الخبر صحيح ، فدعا بالقاتل الى خيمته فقتله .

ولما سمع كارزنج أحد عظماء الصُّغد الذي كان في معسكر المسلمين بقتل الذي قتل المرأة العربية الأسيرة ، خاف أن يُقتل كما قُتل أخ له من قَبْل ، فأرسل الى ابن أخيه ليأتيه بسراويل ، وكان قد قال لابن أخيه : « إذا طلبتُ سراويل ، فاعلمْ أنه القتل » ، فبعث به اليه ،وخرج يعترض الناس ، فقتل عدداً منهم ، مما أدىّ الى تضعضع العسكر الذين لقوا منه شرّاً ، فانتهى الى مَن قتله وأنقذ المسلمين من شرّه .

وقتل الصُّغْدُ أسرى عندهم من المسلمين يقدّر عددهم بمئة وخمسين رجلاً ، فأُخبر الحَرَشِيّ بذلك ، فسأل فرأى الخبر صحيحاً ، فأمر بقتلهم بعد عزل التجّار عنهم لأنهم غير محاربين ، فقاتلهم الصُّغْد بالخشب لأنهم كانوا بلا سلاح ، فقُتلوا عن آخرهم ، وكانوا ثلاثة آلاف ، وقيل : سبعة آلاف ، واصطفى أموال الصُّغد وذراريهم ، وأخذ منها ما أعجبه .

وكتب الحَرَشِيّ الى يزيد بن عبد الملك مباشرة ولم يكتب الى عمر بن هُبَيْرَة ، فكان هذا مما أوغر صدره عليه .

وسرّح الحرشِيّ سليمان بن أبي السَّرِيّ مولى بني عُوافة بن سَعْد بن زَيْد مناة بن تَميم[1] الى حصن يحيط بـه وادي الصُّغد إلاّ من وجه واحد ، فسيَّر سليمان على مقدمته المُسَيّب بن بشر الرياحِيّ ، فتلقوه على فرسخ من الحصن ، فهزمهم حتى ردّهم الى حصنهم ، فحصرهم في داخل الحصن ، فطلب قائد الحصن أن ينزل

---

(١) جمهرة انساب العرب (٢١٥) .

على حكم الحَرَشِيّ ، فسيَّره سليمان إليه ، فأكرمه . وطلب أهـل الحصن الصلح على ألاّ يتعرّض لنسـائهم وذراريهـم ويُسْلِمون القلعة ، فبعث مَنْ قبضه ، وباعوه وقسموه .

وسار الحَرَشِيّ الى (كَشّ)[١] ، فصالحه أهلها على عشرة آلاف رأس ، وقيل : ستّة آلاف رأس : كل رأس منهم يعطي الجزيـة للمسلمين .

وسار إلى (زَرَنْج)[٢] ، فوافاه كتاب ابن هُبَيْرَة بإطـلاق سراح قائد الحصن الذي طلب أن ينزل عـلى حكم الحَرَشِيّ ، ويدعى : ديوشتى ، فقتله الحرشِيّ وصلبه !

واستعمل الحَرَشِيّ سليمانَ بن أبي السَّريّ على (كَشّ) و (نَسَف)[٣] : حربهـا وخراجها ، وكانـت (خُزار)[٤] منيعـة حصينة ، فبعث المُسَرْبَل بن الحِرّيث النّـاجي ، وكان صديقـاً لملكها الذي يدعى : سُبُغْرِي ، فأخبر الملكَ بما صنع الحَرَشِيّ بأهل (خُجَنْدَة) وخوّفه ، فقال الملك : « فمـا ترى ! » ، قال : « أن تنزل بأمان » ، قال : « فما أصنع بمن لحق بي ؟ ! » ، قـال : « تجعلهم في أمانـك » ، فآمنوه وبلاده ، ورجع الحَرَشِيّ إلـى

---

(١) كش : قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان ، انظـر معجم البلدان (٧ / ٢٥٤) .

(٢) زرنج : مدينة هي قصبة سجستان ، انظر معجم البلـدان (٤ / ٣٨٥) .

(٣) نسف : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٢٨٦) .

(٤) خزار : موضع بقرب نسف .

خُراسان ومعه سُبُنْتَرى ، فقُتل سبغرى وصلب ومعه الأمان [١] .

ولا ينكر أنّ الترك والصُّغد نقضوا العهود عدة مرات دون مسوغ، وكبّدوا الدولة الأسلاميّة خسائر فادحة في الأرواح والأموال والجهد، ومنعوا ما عليهم من خراج وجِزْية ، ولكّن ذلك لا يسوّغ غدر الحَرَشِيّ بمن أعطاهم الأمان ، ولا أن ينكث بالعهود والمواثيق التي قطعها على نفسه ، لأنّ من أوّل نتائج الغدر زعزعة الثقة بين الحكّام والمحكومين ، إضافة الى أنّ الغدر يناقض تعاليم الإسلام في القتال .

ولكن ، لعلّ له عذراً فيما فعل ، وسيرد تفصيل ذلك في سيرته إنساناً وقائدا .

٢ ــ في ميدان إرمينية :

في سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية (٧٣٠ م) قُتِل الجَرّاحُ بن عبد الله الحَكَمِيّ في (إرمينية) .

ولما بلغ هشام بن عبد الملك خبر استشهاد الجرّاح بن عبد الله الحَكَمِيّ ، دعا سعيداً الحَرَشِيّ ، فقال له : « بلغني أنّ الجرّاح قد انحاز عن المشركين ! » ، قال . « كلاّ يا أمير المؤمنين ! الجرّاح أعرف بالله من أن ينهزم ، ولكنه قُتِل » . قال : « فما رأيك ؟ » ، قال : « تبعثني على أربعين دابّة من دوابّ البريد ،ثمّ تبعث إليّ كلّ يوم أربعين رجلاً ، ثمّ اكتبْ الى أُمراء الأجناد يوافوني » ، ففعل ذلك هشام[٢] ، وولاّه مقدمة مَسْلمة بن عبد

---

(١) انظر التفاصيل في : الطبري (٧ / ١٢) وابن الاثير (٥ / ١٠٧ ــ ١١٠) .

(٢) ابن الأثير (٥ / ١٥٩ ــ ١٦٠) وانظر الطبري (٧ / ٧٠) وتاريخ خليفة بن خياط (٢ / ٣٦٥) .

الملك الذي استعمله على إرمينية وأَذْربِيجان[١] .

وسار الحَرَشِيّ ، فكان لا يمرّ بمدينة إلاّ ويستنهض أهلها ، فيجيبه مَنْ يريد الجهاد .

ووصل الى مدينة (أَرْزَن)[٢] ، فلقيه جماعة من أصحاب الجرّاح وبكوا وبكى لبكائهم ، ففرّق بينهم نفقة وردّهم معه .

ووصل على رأس المقدمة الى (خِلاط)[٣] : وهي ممتنعة عليه، فحصرها وفتحها وقسم غنائمها في أصحابه .

وسار عن (خِلاط) ، وفتح الحصون والقِلاع شيئاً بعد شيءٍ ، الى أن وصل الى (بَرْذَعَة)[٤] ، فنزلها .

وكان ابن خاقان يومئذ بأذربِيجان يُغير وينهب ويسبي ويقتل وهو محاصر مدينة (وَرْثَان)[٥] ، فخاف الحَرَشِيّ أن يملكها ، فأرسل بعض أصحابه الى أهل (وَرْثَان) سرّاً يعرّفهم بوصوله ويأمرهم بالصبر،فسار الرسول ، ولقيه بعض الخَزَر، فأخذوه وسألوه عن حاله ، فأخبرهم وصدقهم . وقال الخَزَر له : إن فعلتَ ما نأمرك

---

(١) فتوح البلدان (٢٩٠) .

(٢) ارزن : مدينة مشهورة قرب خلاط ولها قلعة حصينة ،انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ١٩٠ ــ ١٩١) .

(٣) خلاط : مدينة مشهورة ، وهي قصبة ارمينية الرابعة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٤٥٣) .

(٤) برذعة : مدينة كبيرة جدا في إرمينية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ١١٩ ــ ١٢٢) .

(٥) ورثان : بلد هو آخر حدود أذربيجان ، بينه وبين وادي نهر (الرس) فرسخان ، وبين ورثان وبيلقان سبعة فراسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٤١٣ ــ ٤١٤) .

به أحسنّا إليك وأطلقناك ، والاّ قتلناك . قال :«فما الذي تريدون؟!»، قالوا : تقول لأهل (وَرْثَان) إنكم ليس لكم مدد ، ولا مَنْ يكشف ما بكم ، وتأمرهم بتسليم البلد الينا ... فأجابهم الى ذلك .

وقارب الرجلُ المسلمُ المدينةَ ، فوقف بحيث يسمع أهلها كلامه، والخَزَر يترصدونه ويسمعون كلامه ، فقال لأهل (وَرْثَان) : « أتعرفوني ؟ » ، قالوا : نعم ، أنت فلان ! قال : «فانّ الحَرَشِيّ قد وصل الى مكان كذا في عساكر كثيرة ، وهو يأمركم بحفظ البلد والصّبر ، وفي هذين اليومين يصل إليكم » ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل .

وقتلت الخَزَر ذلك الرّجل ، ثم رحلوا عن مدينة (وَرْثَان)، فوصلها الحرشيّ في العساكر وليس عندها أحد .

وارتحل الحَرَشِيّ يطلب الخَزَر الى (أَرْدَبِيْل)[1]،فسار الخزر عنها .

ونزل الحَرَشِيّ (باجَرْوَان)[2] ، فجاءه مَن يخبره بأنّ الخزر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من أهل بيت من المسلمين أُسارى أوسبايا ، وقد نزلوا على بُعْد أربعة فراسخ من مكانه الذي هو فيه .

---

(١) اردبيل : من أشهر مدن اذربيجان ، وكانت قبل الفتح الاسلامي قصبة اذربيجان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ١٨٢ – ١٨٤) .

(٢) باجروان : مدينة من نواحي (باب الابواب) قرب مدينة (شروان) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٢٤) .

وسار الحَرَشِيّ ليلاً ، فوافاهم آخر الليل وهم نيـــام ،ففرّق أصحابه في أربع جهات ، وكبس الخزرَ مع الفجر ، فوضع المسلمون فيهم السّيفَ ، فما بزغت الشمس حتى أبادهـــم المسلمون • وأطلق الحَرَشِيّ مَن كان مع الخـــزر من المســـلمين ، وأخذهم معـــه الى (باجَرْوان) •

ولم يكد يستقرّ به المقام في (باجَرْوَان) إلاّ وأتاه مَن يخبره بأنّ الخزر ومعهم أموال المسلمين وحُرَم الجرّاح وأولاده في مكان قـــريب •

وأسرع الحَرَشِيّ الى هدفه الجديد ، فلم يشعـــر الخزر إلاّ والمسلمون معهم ، فوضعوا فيهم السّيف وقَتَلوا كيف شاءوا ، ولـــم يفلت من الخَزَر إلاّ الشّريد ، واستنقذوا مَنْ معهـــم من المسلمين والمسلمات ، وغنموا أموالهم ، وأخـــذوا أولاد الجرّاح وحُرَمـــه وأكرموهم وأحسنوا إليهم ، وحملوا الجميع الى (باجَرْوان) •

وبلغ ما فعله الحَرَشِيّ بعساكر الخَزَر ابنَ ملكهم ، فوبّخ عساكره وذمّهم ونسبهم الـــى العجز والوَهَن ، فحـــرّض بعضهم بعضاً ، وأشاروا عليه بجمع أصحابه والعود الى قتال المسلمين •

وجمع ابن ملك الخزر أصحابه من نواحي أذربيجان ، فاجتمـــع معه عساكر كثيرة •

وسار الحَرَشي الى جموع الخزر ، فالتقى المسلمون بالخـــزر

في أرض (بَرْزَنْد)[١] ، فنشب القتال بين الجانبين بشدّة وعنف . وانحاز المسلمون وقتاً يسيراً ، وتصدّعت أركان صفوفهم ، ولكنّ الحَرَشِيّ حرّضهم وأمرهم بالصبر ، فعادوا الى القتال وصدقوهم الحملة .

واستغاث مَنْ مع الخَزَر من أسارى المسلمين ، ونادوا بالتكبير والتهليل والدّعاء ، فتصاعد استقتال المسلمين ، ولم يبق أحد إلاّ وبكى رحمة للأسرى .

واشتدّت حملة المسلمين على الخَزَر ، فولّوا الأدبار منهزمين ، فطاردهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر (الرَّسّ)[٢] ، ثم عادوا عنهم بعد أن أطلقوا أسرى المسلمين وسباياهم ، وغنموا أموال الخزر ، ورجعوا الى (باجَرْوان) .

وجمع ابن ملك الخزر مَن لحق به من عساكره ، وعاد بهم الى الحَرَشِيّ ، فنزل على نهر (البَيْلَقان)[٣] ، فالتقوا هناك .

وحمل المسلمون على الخزر حملة صادقة ، في منطقة نهر (البَيْلقان) ، فتضعضعت صفوف الخزر . وتتابعت حملات المسلمين ، فصبر الخزر صبراً عظيماً ، ثم كانت الهزيمة عليهم ، فولّوا

---

(١) برزند : بلدة من نواحي تفليس من اعمال جرزان من إرمينية الاولى ، بينها وبين اردبيل خمسة عشر فرسخا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ١٢٤) .

(٢) نهر الرس : نهر مخرجه من قاليقلا ويمر بازان ثم يمر بورثان ثم يمر بالمجمع فيجتمع هو ونهر الكر وبينهما مدينة البيلقان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ / ٢٥٠ ـ ٢٥١) .

(٣) البيلقان : مدينة قرب (باب الابواب) تعد من إرمينيةالاولى قريبة من شروان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٣٤٠ ـ ٣٤١).

الأدبار منهزمين ، وكان مَن غرق منهم في النهر أكثر ممن قُتِل .

وجمع الحَرَشِيّ الغنائم ، وعاد الى (باجَرْوَان) فقسمها[١] .

وقدم مَسْلَمَة بن عبد الملك إرمينية ، والخزر قد انسحبوا الى (مِيْمَذ)[٢] ، والحَرَشي يتهيّأ لقتالهم ، فأتاه كتاب مَسْلَمَة يلومه على قتاله الخزر قبل قدومه ، ويعلمه أنه قد عزله وولّى قيادة عسكره غيره . وسلّم سعيدُ الحَرَشِيّ القيادةَ ، فأخذه رسول مَسْلَمَة وقيّده وحبسه في سجن (بَرْذَعَة) ، وكتب مَسْلَمَة الى هشام بن عبد الملك في (دمشق) بما حدث ، فكتب هشام الى مَسْلَمَة :

أتتركهم بِمِيْمَذَ قد تراهم وتطلبهم بمنقطع التراب ! !

وأمر هشام بإطلاق سراح سعيد الحَرَشِيّ من السجن[٣] ،فعاد الى دمشق[٤] .

لقد كان واجب الحَرَشِيّ في هذه الغزوة واضحاً جليّاً :استنقاذ أسرى المسلمين وسباياهم ، واستعادة فتح المناطق التي احتلّها الخزر بعد استشهاد الجرّاح بن عبد الله الحَكَمِيّ[٥] ، وتلقين الخزر درساً لا ينسونه أبداً لنقضهم العهد وأسر كثير من المسلمين وسبي ذرّيتهم وقتل كثير منهم .

---

(١) ابن الأثير (٥ / ١٥٩ ـ ١٦٢) .
(٢) ميمذ : مدينة بأران في إرمينية الاولى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٢٢٧) .
(٣) فتوح البلدان (٢٩٠) .
(٤) ابن الأثير (٥ / ١٦٢) .
(٥) ابن الاثير (٥ / ١٦٢) .

وكان الحَرَشِيّ موفّقاً غاية التوفيق في أداء واجبه على أحسن وجه ، فانطلق على دواب البريد ـ وهي أسرع واسطة للنقل في حينه ـ بسرعة خاطفة ، واستهدف إنقاذ أسرى المسلمين وسباياهم أولاً ، فكان يستنقذهم بالقتال فوراً بعد معرفة اماكنهم ، ومع ذلك لم يقصّر في استعادة فتح المناطق المحتلّة من الخزر ، وتلقينهم دروساً قاسية في القتال كبّدتهم خسائر فادحة في الأموال والأنفس والمعنويات ،وألحقت بهم هزائم شنيعة .

فما كان ينبغي لمَسْلَمة أن يلوم الحَرَشِيّ ويقيّده ويحبسه ويعزله عن قيادته لأنه قاتل الخزر قبل قدومه ، فواجب الحَرَشِيّ أن يستنقذ الأسرى والسبايا بسرعة قبل أن يُقضى عليهم وينقذهم من الذل والهوان الذي لم يعتده المسلمون وقتذاك ، ويعيدهم الى دار الإسلام أحرارا ، وكان ينبغي لمسلمة أن يشكر الحَرَشيّ كما فعل هشام .

ومثل هذا الواجب ، يقتضي السرعة الخاطفة والاندفاع الجريء ، لا التريث والانتظار .

لقد كانت هذه الغزوة من أروع أعمال الحَرَشِيّ القتاليّة ، فقد جاء إرمينية والمسلمون فيها أسرى وسبايا ، فأعاد اليهم حريتهم وكرامتهم . وجاءها وهي تحت سيطرة الخزر ، فاستعاد فتحها ، وكان الميزان العسكري الى جانب أعداء المسلمين ، فجعل هذا الميزان الى جانب المسلمين ، وكان الخزر هم الذين يقتلون المسلمين ويأسرونهم ، فأصبح المسلمون هم الذين يقتلون الخزر ويأسرونهم ، وكان المسلمون يخافون الخزر ، فأصبح الخزر يخافون المسلمين ، وكانت مدن المسلمين محتلّة أو محاصَرة ، فأصبحت مدن الخزر مفتوحة أو محاصَرَة .

لقد قلب الحَرَشِيّ خلال وقتٍ قصير جداً الموازين رأساً على عقب في إرمينية لصالح المسلمين .

رابعـــا : الإنســـان

كتبَ عمرُ بن هُبَيْرَة الذي كان على العراق الى يزيد بن عبد الملك ، بأسماء مَنْ أبلى يوم (العَقْر) ولم يذكر سعيداً الحَرَشِيّ ، فقال يزيد : « لِمَ لم يذكر الحرشِيّ ؟ ! » ، فكتب الى ابن هُبَيْرَة : « ولّ الحَرَشِيّ خُراسان » ، فولاّه[1] .

وكان موقف الحَرَشِيّ قبل يوم (العَقْر) قائداً مرؤوساً ، وفي أثناء المعركة موقفاً بطولياً مشهودا ، لم يخف على الخليفة يزيد بن عبد الملك وهو في عاصمته دمشق ، ولا يمكن أن يخفى على أحد من الحكّام والمحكومين ومنهم ابن هُبَيْرَة ، ولكنه لم يذكر اسمه في قائمة الشرف لعداوة ابن هُبَيْرة إياه ، فلما قرأ يزيد أسماء أصحاب البلاء تساءل : « أين الحَرَشِيّ ؟ ! » . فوالله ما كان الفتح إلاّ على يديه ، وما قتل المرتدين غيره » ، ويريد بالمرتدين الذين ثاروا على الدولة بقيادة يزيد بن المُهَلَّب ، فكتب الى ابن هُبَيْرَة : « أن ولِّه خُراسان » ، فولاه ثغرها ، وذلك في سنة ثلاث ومئة الهجرية[2] .

وكان الحَرَشِيّ عند حسن ظنّ يزيد بن عبد الملك به ، فقد أعاد الأمن الى ربوع خُراسان ، وقتل الذين نقضوا عن آخرهم وسبى ذراريهم[3] .

فلماذا كان ابن هُبَيْرة يناصب الحَرَشِيّ العداءَ ؟

لقد بنى الحَرَشِيّ سمعته الطيّبة على كفاياته الشخصيّة لاعلى

---

(١) الطبري (٦ / ٦٢٠) وابن الاثير (٥ / ١٠٣) .

(٢) تهذيب ابن عساكر (٦ / ١٦٤ ــ ١٦٥) .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط (١ / ٣٣٦) .

حسبه ونسبه ، فقد كان في أول أيامه فقيراً مُعْدِماً[١] ، وإنما تقدّم بإخلاصه وشجاعته ودينه[٢] ، فكان يعمل بإبداعه الذاتي ، خضوعاً للمصلحة العامة دون أن ينتظر توجيهات السلطة التي يرتبط بها وينفّذ أوامرها ملتزماً بتلك التوجيهات والأوامر التزاماً صارماً ، فقد لا تصله توجيهات السلطة التي يرتبط بها مباشرة ، أو قد تأتي متأخّرة فيذهب نفعها وتفقد أهميتها ، مما يلحق الضرر بالمصلحة العامة دون مسوّغ .

كما أنه (يرى) الأحداث بعينيه ، فهو (حاضر) في جوّ الأحداث، بينما السلطة التي يرتبط بها مباشرة (تسمع) عن تلك الأحداث بأذنيها، فهي (غائبة) عن جوّ الأحداث ، وليس مَنْ (رأى) كمن (سمع) ، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب .

والولاة والقادة صنفان في كلّ زمان ومكان : صنف (متّبع) ينتظر الأوامر فينفّذها حرفياً والتوجيهات فيطبّقها نصّاً ، وأغلب هذا الصّنف تنقصه الكفاية أولا يحبّ تحمّل المسئولية ولا يثق بنفسه ثقة كاملة ، فهو موظّف حسب . وصنف (مُبْتدع) لا ينتظر الأوامر والتوجيهات ، لأنه أعرف بالموقف الراهن من غيره ، وأغلب هذا الصنف يتميّز بالكفاية العالية ، ويحبّ تحمل المسؤوليّة ، ويثق بنفسه ثقة كاملة .

والصنف الأول يريح صاحب السّلطان ويستريح إليه في أوقات الدّعة والاطمئنان ، ولكنه يتملّص من كلّ مسؤولية في أوقات الخطر والملمّات .

والصنف الثاني لا يستريح اليه صاحب السّلطان في أوقات الدّعة والهدوء ، ولكنه يلجأ إليه في أوقات الحروب والمدلهمّات .

وقد كان الحَرَشِي من الصنف الثاني ، لذلك أثبت وجوده في

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٦ / ١٦٤) .
(٢) ابن الأثير (٥ / ١٠٨) .

أيام الشدّة والمصائب ، وغاب عن الأنظار في أيام اللّهو واللّعب ، وربما قضى ردحاً غير قليل من تلك الأيام في غياهب السجون .

والدليل على بغض ابن هُبَيْرَة للحَرَشِيّ ، أنه بادر بعزله عن (خُراسان) سنة أربع ومئة الهجرية (٧٢٢ م) ، بعد أن استقرّت أمور ابن هُبيرة في العراق من جهة ، وبعد أن أعاد الحَرَشِيّ الأمن والسّلام الى (خُراسان) واستعاد فتحها من جديد .

وكان السبب في عزل الحَرَشِيّ عن (خُراسان) بعد أن مكث فيها سنة أو بعض سنة في حرب دامية متنقلاً في الجبال والوهاد ، معرّضاً نفسه لأعظم الأخطار ، لا يُريح ولا يستريح ولا ينام ولا يُنيم ، فلما انتصر على الأعداء ووطّد أكناف البلاد ، وآن له أن يستريح قليلاً ويأخذ لنفسه إغفاءة قصيرة ، عزله ابن هُبَيْرة ليغلق نافذة يأتيه الريح المزعج من منافذها ، ليولي رجلاً يريحه ولا يزعجه ويطيعه ولا يعصيه .

وكان السبب في عزله ، ما كان كتبه ابن هُبَيْرة الى الحَرَشِي بإطلاق سراح أحد قادة الصّغد الذي يدعى (ديوشتى) ، فقتله ولم ينفّذ أمر ابن هُبَيْرَة . كما كان يستخفّ بابن هُبَيْرَة ويذكره بأبي المُثَنّى ولا يقول الأمير ، فيقول : قال أبو المثنّى ، وفعل أبو المثنى ، فبلغ ذلك ابن هُبَيْرَة ، فأرسل إليه جميل بن عِمْران ليعلم حال الحَرَشِيّ ، وأظهر أنه ينظر في الدواوين ، فلما قَدِم جميل على الحَرَشِيّ قال : « كيف أبو المثنّى ؟ » ، فقيل له : إنّ جميلاً لم يَقْدِم الاّ ليعلم علمك ! ومرض جميل مرضاً شديداً وسقط شعرُه[1] . وعولج جميل حتى تماثل للشفاء ، فغادر (خُراسان)

(١) قيل : ان الحرشي بعث لجميل بطبخة مسمومة ، فأكلها ومرض وسقط شعره ، انظر ابن الاثير (٥ / ١١٥) ، ولا يمكن ان نصدق هذه التهمة ، فقد كان الحرشي متدينا ، لا يقدم على مثل هذا الامر وهو ارفع من ذلك .

عائداً الى ابن هُبَيْرة في العراق ، فقال لابن هُبَيْرَة : « الأمر أعظم مما بلغك ... ما يرى الحَرَشِيّ إلاّ أنك عامل له » ، فغضب وعزله ونفخ في بطنه النمل[١] وعذّبه[٢] .

ومن أسباب عزله ، أنّ ابن هُبَيْرَة وجّه مَعْقِل بن عُرْوَة الى (هَراة)[٣] إما عاملاً واما في غير ذلك من أموره ، فنزل قبل أن يمرّ على الحَرَشِيّ . وكتب الحرشيّ الى عامله على (هَراة)يأمره أن يحمل مَعْقِلاً اليه ، فقال له الحَرَشِيّ : « ما منعك من إتياني قبل أن تأتيَ هَراة ؟ » ، فقال : « أنا عامل لابن هُبَيْرَة ، ولاّني كما ولاّك » ، فضربه مئتي جلده وحلّقه[٤] . وكتبَ ابن هُبَيْرة الى الحَرَشِيّ يُلَخّنه ، فقال : « بل هو ابن اللّخناء »[٥] .

ولا شكّ في أنّ للحَرَشِيّ أسبابه الوجيهة التي جعلته يقف مثل هذه المواقف من ابن هُبيرة ، فلم يكن الرجل غِرّاً ولا متّهماً في عقله، ليقف مثل هذه المواقف الجريئة دون مسوّغ .

وقد سكت المؤرخون عن أسباب الحَرَشِيّ ، ولكن يستطيع كلّ مَنْ يدرس شخصيته ان يبوح بتلك الأسباب .

---

(١) النمل هنا : بثور صغار مع ورم صغير .

(٢) الطبري (٧ / ١٥ ــ ١٧) وابن الاثير (٥ / ١١٥) .

(٣) هراة : مدينة عظيمة مشهورة من امهات مدن خراسان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٤٥١ ــ ٤٥٢) ، وهي من اهم مدن أفغانستان حاليا .

(٤) حلقه : وسمه بحلقة في فخذه .

(٥) الطبري (٧ / ١٦) .

ويبدو أنّ الحَرَشِيّ قتل أحد قادة الصُّغد بعـد أن أكرمـه وأحسن وفادته ، لأنه اكتشف أن هذا القائد الصُّغدي قد لوّث يديه بدماء المسلمين واعتدى على حرماتهم ، ومن المعروف أنّ الحَرَشِيّ أجرى تحقيقاً شاملاً دقيقـاً لمعرفة الذين اعتدوا على أرواح المسلمين وأعراضهم ، فنال المجرمون من الصُّغد ما يستحقّونـه من عقاب .

ومن المحتمل أن يكون هذا القائدالصُّغدي أحدأولئك المجرمين، فقتله الحرشيّ مجرماً لا سياسيّا أو أسيرا .

أما أنّ الحَرَشيّ يذكر ابـن هُبَيْرَة بأبي المثنـى ولا يقول الأمير ، فهو يرى نفسه نـداً لابن هُبَيْرة ، فقد ولاّه الخليفة علـى خُراسان ولم يوله ابن هُبَيْرة ، ونال هـذا المنصب بجهده وعرقـه وجهاده لا بوسائل أخرى .

أما عقاب الحَرَشِيّ لمَعْقِل فكان شديداً حقـاً ، ولكن لـم يكن هذا العقاب بلا مسوّغ ، وبخاصة أنّ القلاقـل والفتـن في خُراسان ، كانت تتطلّب استعادة هيبة الحكم فيها قويـاً مُهَابا ، ولا يتمّ ذلك إلاّ بفرض السيطرة الكاملة .

وأحسب أنّ الحَرَشِي كان منطقياً مع نفسه حصيفاً غير متهوّر، وكانت له أسبابه المنطقية في مخالفاته ، ولكنّ السلطات العليا لا ترضى من السلطات المرؤوسة غير الطّاعة العمياء التي كان الحَرَشِيّ يعتبرها نوعـاً من النفاق والاستخذاء .

وقد كان لسلفه على خُراسان عمال اختارهم ليعاونوه في تحمـل أعباء مهمّته ، فلما قدم الحرشيّ خُراسان لم يعرض لعمّال سلفه[1] ،

---

(١) ابن الأثير (٥ / ١٠٣) .

بل تركهم على ما كانوا عليه ، مما يدلّ على أنه لم يأت منتقماً ولا كان من الذين يعملون لمصلحتهم الذاتية ، بل كان رجل دولة يعمل للمصلحة العامة وحدها .

وقد سجن الحَرَشِيّ وعذّب عذاباً أليما ، وتولى أمر تعذيبه حتى الموت مَعْقِل بن عُرْوة الذي كان الحَرَشِيّ قد سجنه في خُراسان وضربه مئتي سوط كما ذكرنا ، فقد أمر ابن هبيرة عامله الجديد على خُراسان أن يحمل اليه الحَرَشِيّ مع مَعْقِل بن عُرْوة ، فأساء معقل بالحرشيّ وضيّق عليه . وفي يوم من الأيام أمر ابن هبيرة معقلاً أن يعذّب الحَرَشيّ ويقتله بالعذاب الأليم . وجاء المساء ، فسمر ابن هُبَيْرَة مع الصّفوة من خلاّنه ومحاسيبه ، فقال : « مَنْ سيّد قيس ؟ » ، فقالوا : الأمير . قال : « دعوا هذا ! سيّد قيس الكوثَر بن زُفَر ، لو بَوَّقَ بليلٍ لوافاه عشرون ألفاً لا يسألونه : لِمَ دعوتنا . وهذا الحمار الذي في الحبس — يريد الحَرَشِيّ — قد أمرتُ بقتله فارسُها ، وأما خير قيس لها ، فعسى أن أكونه . إنه لم يعرض اليَّ أمرٌ أرى اني اقدر فيه على منفعة وخير إلاّ جررته اليهم » ، فقال أعرابيّ من فَزارة : « ما أنتَ كما تقول ! لو كنتَ كذلك ما أمرتَ بقتل فارسها » ، فأرسل ابن هُبيرة الى معقِل : « أن كُفَّ عمّا كنتُ أمرتك به[1] » .

ودار الزّمن دورته ، فمات يزيد بن عبد الملك وتولىّ هِشام بن عبد الملك سنة خمس ومئة الهجرية (٧٢٣ م) ، فعزل هشامُ ابن هُبَيْرَة عن العراق واستعمل خالد بن عبد الله القَسْرِي[2] ، فبادر خالد بعد وصوله الى العراق بإطلاق سراح الحَرَشِيّ من السجن بعد

---

(١) الطبري (٧ / ١٦) وابن الاثير (٥ / ١١٥ — ١١٦) .
(٢) الطبري (٧ / ٢٦) وابن الاثير (٥ / ١٢٤) .

أن مكث فيه سنة وشهورا ... وهرب ابن هُبَيْرة من العراق لا يلوي على شـــيء يريد النجاة بنفسه شريداً طريداً متخفياً ، فأرســـل خالد في طلبه الحَرَشِيّ ، فلحقه بموضع من الفرات يقطعه الى الجـــانب الآخر في سفينة ، وكان في صدر السفينة غلام يُقال لـــه : قُبَيْض . وعرف الحَرَشِيّ ذلك الغلامَ ، فقال لـــه : « قُبَيْض ؟ » ، قال : « نعـــم ! » ، فقال : « أفي السفينة أبو المثنّى ؟ ! » ، قال : «نعم» . وخرج اليه ابن هُبَيْرَة فقال له الحَرَشِيّ : « أبا المثنّى ! ما ظنّك بي ؟ ! » ، قال : « ظني بك أنك لا تدفـــع رجلاً من قومك الى رجل من قريش ! » ، قال : « هو ذاك » ، قال : « النّجاء »[1] ،وهذا دليـــل آخر على أنّ الحَرَشِيّ غير منتقم ولا حاقد ، ولو أنه دليل علـــى عصبيّة الحرشِيّ القبلية ، وكان تصرّف الحرشيّ تصرف الذي يعفو عن مقدرة لا عن ضعف .

وكما كان ابن هُبَيْرَة يكره الحَرَشِيّ لأنه كان (مبتدعـــاً) لا (متّبِعـــا) ، فقد كان مَسْلمة بن عبد الملك يكره الحرشِيّ للسبب عينه[2] . فقد اندفع الحَرَشِيّ في قيادة خيل مسلمة وصدّ مقدّمـــة يزيد بن المهلّب دون استشارة مسلمة والرجوع اليه ، كمـــا برز بروزاً هائلاً في معركة (العَقْـــر) فلفت اليه الأنظار .

وكما طبّق الحَرَشِيّ في معركة (العَقْر) ما أملاه عليه الموقف العســـكريّ الرّاهن ، طبّـــق في غزوة إرمينيّة حين كـــان على مقدمة

---

(١) الطبري (٧ / ١٧) وابن الاثير (٥ / ١١٦) ، وابن هبيرة والحرشي من قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، انظر نسب ابن هبيرة في : جمهرة أنساب العرب (٢٥٥) .

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧ / ١٦٤) .

مَسْلَمَة الأسلوب الذي طبقه في معـركة (العَقْر) ، فلامه مَسلمة على قتاله الخَزَر قبل قدومه ، وعزله عن قيادتـه وقَيَّده وسجنه في سجن (بَرْذَعة) ، فأنّب هشامُ بن عبد الملك مسلمةَ على ما فعـل في حبس الحَرَشِيّ والتخليّ عن تنفيذ خطّته في قتال الخزر ، وأمر بأطلاق سراحه[١] .

وهكذا يكون جزاء (المبتدع) ، ليس بالنسبة للحَرَشِيّ ، بل لكل من يبتدع ولا يتّبع : الحقد والتنكيل بالمبتـدع ، والسّـلامة والمستقبل للمتّبع .

وهذه القاعدة تسرى على (المبتدع) و (المتّبع) في كلّ زمان ومكان ، الغُرم دومـاً للمبتدع . والغُنم دوماً للمتّبع ، وقلّما يُفلح (المبتدع) إلاّ اذا تولىّ المبتدع السُّلطات العليا وكان غيـر مسؤول أمام أحد ، وقلّما يخفق (المتّبع) اذا عمل بالأمرة في الظل ولم يتولّ السّلطات العليا .

وهنا أرى أن تتوقّف قليلاً ، لإنصاف الحَرَشِيّ من اتهامه بأنه نقض العهـد في حرب الصُّغد وحـرب الخزر ، فقتـل أشخاصاً أو جماعات بعد أن أعطاهم الأمان .

وقد كان الحرشِيّ معروفاً بتدينه[٢] ، كما كان معروفاً برأيـه السديد[٣]،وقد علم أنرجلاً من (الصُّغْد) قتل امرأة من نساءٍ كُنّ في أيديهم ودفنها تحت حائط ، فقتل الحرشيّ القاتل بجريمته ، وقتـل أحد قادة الصُّغد الذي اعترض الناس فقتل ناسـاً ، وكان في أيـدي

---

(١) فتوح البلدان (٢٩٠) .
(٢) ابن الاثير (٥ / ١٠٤) و (٥ / ١٠٨) .
(٣) الطبري (٧ / ٨) .

الصُّغد أسراء من المسلمين ، فقتلوا منهم خمسين ومئة ، ويقال : قتلوا منهم أربعين ، فأمر الحرشيّ بقتل المجرمين[١] .

وأثّر قصاص الحَرَشيّ في الخارجين على الدولة من أهل خُراسان بعامة وفي الصُّغد وهم رأس الفتنة بخاصة ، فقال الرّاجز :

إذا سَعِيْدٌ سار في الأخماسي
في رَهَجٍ يأْخذُ بالانفاس
دارت على التُّرْكِ أمَرُّ الكاسِ
وطارت التُّرْكُ على الأحلاس
ولَّوْا فِراراً عُطَّلَ القياس[٢]

لقد قدم الحَرَشيّ خُراسان فكان المسلمون بإزاء العدو ، وكانوا قد نُكبوا[٣] ، وكان كثير من المسلمين أسرى وكثير من نسائهم سبايا ، فأعاد الأمن والنظام خلال اشهر معدودات الى ربوع خُراسان ، وعادت للدولة هيبتها وللسُّلطة مركزها ، ولامراء في أنّ من أهم أسباب استعادته الأمن والاستقرار بعد الخوف والفوضى يعود الى أخذ المسيء وإنزال العقاب به ، فكان القصاص الذي نزل بأفراد وجماعات من الصُّغد باعتبارهم مجرمي حرب ، عُوقبوا على ما جنت أيديهم من جرائم ، والعهد والأمان الذي قطعه الحَرَشيّ على نفسه لهم أفراداً وجماعات هو على جريمة انتقاضهم على الدولة وحملهم السِّلاح عليها ، لا على الجرائم التي ارتكبوها في أيام انتفاضهم قتلاً للمسلمين وانتهاكاً لحرماتهم .

---

(١) الطبري (٧ / ٩ – ١٠) .
(٢) الطبري (٧ / ١٢) .
(٣) ابن الاثير (٥ / ١٠٣) .

وما يقال عن التزام الحرَشِيّ بالضّبط المتين ومعاقبة مجرمي الحرب في حرب الصّغد ، يقال عنه أيضاً في حرب الخزَر ، فقد نفّذ العهود والمواثيق بالنسبة لغير المجرمين ، اما المجرمون فلم يسكت عنهم وأنزل بهم القصاص العادل كمجرمين لا كمعاهدين .

تولّى (البَصْرَة) شهوراً من سنة ثلاث ومئة الهجرية[١] (٧٢١ م) لابن هُبَيْرَة ، ثم تولّى خُراسان في هذه السنة لابن هُبَيْرة أيضاً[٢] ، وعزل عن خُراسان سنة أربع ومئة الهجريّة[٣] (٧٢٣ م) ، وتولّى إرمينية وكيلاً لمَسْلَمَة بن عبد الملك سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية (٧٣٠ م) ، وعُزل في هذه السنة .

وقد عمل بإمرة ابن هُبيرة في ولايته البصرة وخُراسان ، وبإمرة مَسْلَمة بن عبد الملك في إرمينية ، وكان الأميران اللّذان عمل الحرَشِيّ بإمرتهما يبغضانه[٤] ، لأنه كان (مبتدعاً) يعمل بوحي كفايته وخبرته ، ولا يستوحي ما يعمله من اللذين عمل بإمرتهما ، فكلّل الأميران جهود الحرشِيّ المظفّرة بالحبس والتنكيل .

وأحسب أن الحرَشِيّ لم يخالف ابن هُبيرة ومَسْلَمَة لمجرّد رغبته في المخالفة حبّاً بإظهار نفسه وقوّته ، بل لأن عامل الوقت كان عاملاً حاسماً يقضي عليه بالمخالفة ، فلو أنه انتظر حتى يقدم مَسْلمة إرمينية لتبدّل الموقف العسكري لصالح الخزر ، كما أنه خالف ابن هُبَيْرة في قتل أحد رجالات الصّغد ، لأنه ثبت عليه

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (١ / ٣٤١) وانظر الطبري (١٧/٧).
(٢) الطبري (٦ / ٦٢٠) و (٧ / ١٧) .
(٣) الطبري (٧ / ١٥) .
(٤) تهذيب ابن عساكر (٧ / ١٦٤) .

إجرامهُ بشكل لا يقبل الشّك ؛ والحقّ أحقّ يُتّبع ، وكل شيءٍ في سبيله يهون .

وقد علمنا أنّ الحَرَشِيّ يتحلّى بالضبط المتين ، فحري بمثله ألاّ يخالف مرجعه الأعلى الذي يعمل بإمرته إلاّ لضرورة قصوى ، لأنه اذا أباح لنفسه مخالفة رئيسه ، فقد أتاح لغيره ان يخالفه ، فاذا شاع الخلاف عمّت الفوضى ، والحَرَشِيّ ليس من دعاتها بل من أعدائها الأشدّاء .

ولعلّ ما يدلّ على مبلغ حرصه في توقير الذين يعمل بإمرتهم ، أنّ الحَرَشِيّ حين قدم خُراسان واليا ، أمر أحد رجاله ان يقرأ عهده على الناس ، والعهد هنا المرسوم الذي كتبه عمر بن هُبَيْرة للحَرَشِيّ في توليته على خُراسان . وقرأ الرجل العهد فلحن فيه ، فقال الحَرَشِيّ : « مهما سمعتم فهو من الكاتب ، والأمير بريء منه »[1] ، أي بريء مما تسمعون من هذا اللّحن[2] ، وهذا دليل على توقير الحَرَشِيّ لأميره المباشر ، وأنه بعيد عن الاستهانة بالأمير الذي يعمل بإمرته المباشرة .

ولعلّ نقطة الضعف في الحَرَشِيّ هي حبه الشديد للمال ، فالذي يبدو أنه كان يحب هذا المال حبّاً جمّاً ، فأوقعه هذا الحبّ في مآزق لا يمكن السكوت عنها أو نكرانها او محاولة الدفاع عنها ، فيما إذا صحّ أنه جمع المال لمصلحته الشخصيّة وثبت اتّهامه بذلك.

ففي معركة الصُّغد سنة أربع ومئة ، اصطفى أموال الصُّغد وذراريهم ، وأخذ منها ما أعجبه ، ثم دعا مُسْلِمُ بن بُدَيْل

---

(١) فتوح البلدان (٦٠١) وابن الاثير (٥ / ١٠٣) .
(٢) فتوح البلدان (٦٠١) .

العَدَوِيّ : عَدِيّ الرّباب ، فقال : « ولّيتك المقسَم » ، فقال : « بعدما عمل فيه عمّالكَ ليلةً ! ! ولله غيري ! » ، فولاه عُبَيْد الله بن زَهير بن حيّان العَدَوِيّ ، فأخرج الخُمُسَ ، وقسّم الأموال . وكتب الحَرَشِيّ الى يزيد بن عبد الملك ، ولم يكتب الى عمر بن هُبيرَة ، فكان هذا مما وَجد فيه عليه عمر بن هبيرة[١] .

ولما حبس ابنُ هُبَيْرة الحَرَشِيّ اتهمه بالخيانة[٢] في الأموال، فلما عُذّب في السّجن أدّى[٣] الذي عليه .

ولكنّ الحَرَشِيّ عذّب عذاباً شديداً ، فقال كُليب بن أَذَيْنَة :

تصبّرْ أبا يَحْيَى فقد كنتَ علمنا
صبوراً وتهاضاً بثقل المغارم

وقد أمر ابنُ هُبَيْرَة يوماً المشرفَ على تعذيب الحرشِيّ أن يعذّبه الى أن يقتله في العذاب[٤] .

وأرى أنّ مجرّد اتّهام الحَرَشِيّ من ابن هُبَيْرَة لا يكفي لتصديقه ، فقد كان ابن هُبيرة حاقداً أشدّ الحقد على الحرشِيّ وكان يبغضه بغضاً شديداً ، فلا يمكن أن نصدّق تهمة حاقد مبغض .

ولو أنّ الحرشِيّ خان في المال ، لما نال العطف الاجماعي على حبسه وتعذيبه ، ولما أطلق سراحه بعد ذلك ، وأصبح موضع ثقة الخليفة هشام بن عبد الملك ، فولاّه قيادة مقدمة مسلمة بن عبد الملك في إرمينية ، وكان يستشيره وينفّذ مشورته .

والظاّهر أنّ الحَرَشِيّ تألّف بعض سادات العرب وقادة خُراسان بالمال ، ليكونوا له عَوْناً في حربه وسلمه ، وليقطع دابر

(١) الطبري (٧ / ١٠) وابن الاثير (٥ / ١٠٩) .
(٢) الطبري (٧ / ١٦) .
(٣) الطبري (٧ / ١٦) .

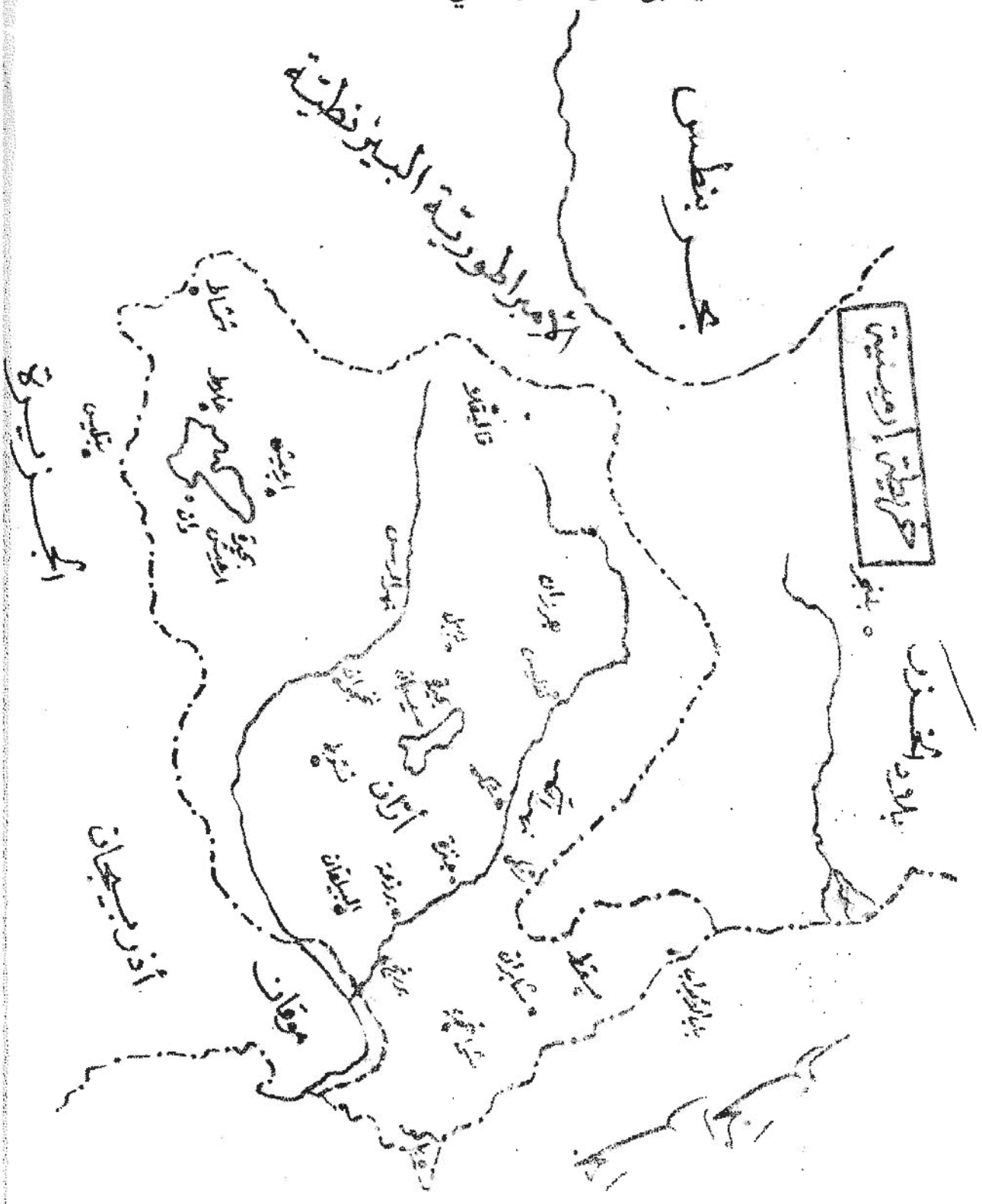
بحر بنطس
الإمبراطورية البيزنطية
بلاد الخزر
أذربيجان
جورزان
أرزن
الروم

ـ للبحث صلة ـ